صفحة من تاريخ الموارنة

المسابكي الشهيد يتوقع حوادث الستين

بقلم الدكتور بشر فارس

فرنسيس المسابكي هو أحد الإخوة الشهداء بطش بهم السفاحون الغاشمون بدمشق سنة ١٨٦٠ في دير الرهبان الفرنسيسكان أفظع البطش اذ حرّكه تحمس أثيم وطيش طاغ. ولولا رجالات من أهل المروءة والسماحة والسخاء، لدمشق وظواهرها أن تفخر بهم الى الابد، كالأمير عبد القادر المغربي وصالح آغا وسليم آغا المهايني ومحمود افندي حمزة ومحمد آغا سويدان وغيرهم ممن ذكرهم صاحب «كتاب الأحزان» ما نجا من المستضعفين من «أهل الذمة» في الشام «واحد لا من الرجال ولا من النساء والبنات»[1].

والإخوة الشهداء هم: فرنسيس وعبد المعطي ورفائيل المسابكي. ويجد القارئ قصة استشهادهم في رسالة بشاره الشهالي مطران دمشق. ومن مصادر القصة رواية نعمة بن عبد المعطي الشهيد.

ولما كانت الوثائق الخاصة بفاجعة الستين معدودة على حسب ما يسردها المطران الشهالي في رسالته، رأيت ان انشر هنا كتاباً ارسل به فرنسيس المسابكي الى الشيخ ملحم بشير الدحداح في الثاني من تموز لسنة ١٨٦٠ اي سبعة أيام قبل وقوع الفاجعة. وفائدة الكتاب أن كاتبه الشهيد يخبر مراسله اللبناني بأن في الجوّ شيئاً مخيف فيذكر له ما يتخذه أصحاب الأمر من تدبير في أحياء المدينة اتقاء للشرّ حين يستطير. ومقصد الكتاب تجاري أولاً، فقد كان فرنسيس هذا في تلك السنة شيخاً ثرياً يتعاطى تجارة الحرير ويعامل تجّار لبنان وبيروت منهم آل الدحداح وآل الخازن. وأما ما ورد في الكتاب بشأن

---

١) كتاب الأحزان في «تاريخ واقعة الشام» مخطوط منسوب الى ميخائيل الزيات، ص ٢٠٩-٢١٤. عن «الاخوة الشهداء الثلاثة» للمطران بشاره الشهالي، بيروت ١٩٣٦، ص ٥٢-٥٤

توقع الفتنة فليس بمستغرب ، ذلك أن فرنسيس كان عميد الموارنة في دمشق ومرجعهم وكان ايضاً ملاذ المسيحيين هنالك من وطنيين وغرباء ، يشهد بذلك ما سطره المطران الشمالي في رسالته المذكورة[1] .

وهذه الوثيقة دفع بها الي ، في اثناء اقامتي بلبنان في صيف سنة ١٩٥٥ ، السيد بشاره المسابكي ، حفيد عبد المعطي الشهيد وأحد وجوه بيروت وأصحاب المصارف فيها لهذا الوقت[2] .

صورة الوثيقة

جناب الاجل الماجد الافخم الشيخ ملحم بشير الدحداح المحترم دام بقاه

غب تقديم ما لاق وافتقاد كريم المخاطر ، نعرض بايرك الاوقات تشرفنا بورود تحاريركم أخرهم رقم ٢٨ الماضي ، وحمدناه تعالى لدوام بقاكم . وشرحكم فهمناه . ومرسلكم الزجمات بدفع بوالسنا وصلة[3] . وحجزتم من بوليسة المواجه يوحنا ارسانيوس المائة ريال عامود[4] ، المسحوبة بالغلط ، زايد عن مطلوبنا مع خسم[5] القروش ١٠ مطلوبكم المصروف . فرمدنا عنكم حساب البوالس ، ودايماً ابقاكم الله مقصد[6] . والقروش ٧ المراجع بها المواجه ارسانيوس المذكور عن خنس في قبض البوليسة فهذه جزئية لا تمرز[7] . وقد انعلمنا[8] على الشفة المرسلينها للأخ المواجه ابراهيم بولاد فهذه[9] الامور الخاصة ساح من

١) ص ٣٨–٤٣

٢) تضاف الى الوثائق الممدودة التي يسردها الشمالي في رسالته كتابة مرقومة باخر على عمود كنيسة مار موسى في برية النبك بين دمشق وحمص ، تصف الفاجعة باختصار ، رقمها « ليان ولد يوسف هبرا » يوم الاثنين العشر هجرية في ٢ ذي الحجة سنة ١٢٧٦ / ٩ تموز سنة ١٨٦٠ – اطلعني على هذه الوثيقة ، في دمشق سنة ١٩٥٥ ، المونسنيور يوسف هبرا ، النائب العام لمطرانية السريان الكاثوليك بدمشق ، منقولة بيده .

٣) وصلت .

٤) من اصطلاحات المعاملة المالية في ذلك الوقت .

٥) خصم .

٦) لا يزال اهل لبنان يقولون : « الله يديمكم مقصد » .

٧) لا تمرز : تعبير شامي . وفي مصر يقال : ما يستهلش .

٨) اطلعنا .

٩) هنا يبدأ الكلام على موقع الحادث .

البارى وقصاصاً لخطاياناً . ونبقى الاحتياطات[1] متساوية في كل محل لان بطرقنا حاصل وقوع خوف وخطر من هذه الاحتياطات . والنشاره مستكنة في بيوتها وموجودة تحت لطف البارى . ويحسن ملاحظة ومساعدة جناب الاعيان واغوات البندة الذين عمال[2] يخدمون الميحان الحاصل — وصار تعيين عسكر من اهالي البلد لاجل المحافظة . وكل أغة حارة سهران ويحافظ لاهل حارته . كما انه نزل عسكر نظام الى حارات النشاره للمحافظة سيما بسبب العيد يحصل الحادث . ولم يزل الناس حاصلة بعدم اركان[3] . وهذه الحركة حصلة لمراب الجميع . فالله من جوده تحته يد في عباده ويخلصها من هذه النائة ويصرفها على خير ويقدم الفرج . والخوف حاصل من داخل وخارج . الله يحل عجرها ويغير هذه الاحوال لاحسن حال[4] فتحرجو الافادة عما تجد[5] بطرفكم من الحوادث الحاصلة . هذا ولا خلافه يعرض[6] . شرفونا بخدمتكم الكريمة . وبطيه تحرير لجناب الشيخ عباس الخازن . الرجاء تسليمه ليده مع عدم المؤاخذة . وادام الله بقاكم

في ٢ تموز سنة ١٨٦٠

الداعي

فرنسيس مابكي

وأولاده

---

١) تقول اليوم : الاضطرابات .
٢) عمّال .
٣) إركان . أي اطمئنان .
٤) هنا ينتهي الكلام على توقع الحوادث .
٥) عما تجدّ .
٦) لا يعرض لي شيء غير ما قلته .

نبيه — تركت هفوات الكاتب على حالها